مقدمـــة

كتب الكثيرون من أجانب ومصريين عن الثورة العرابية ولكن القليل منهم من توخى الحقيقة المجردة عن الهوى وأزاح عنها الشكوك.

وهذا يؤكد ما ذكره ابن خلدون منذ مئات السنين عن المغالطات التى تحدث أحيانا من بعض المؤرخين حيث يقول: "إن المؤرخين والمفسرين كثيرا ما وقع لهم من المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا دون أن يعرضوها على أصولها أو يقيسوها بأشباهها، أو يحكموا النظر والبصيرة فى الأخبار فضلوا عن الحق، وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط".

فهناك من وصف الثورة العرابية بأنها فتنة عسكرية وفى مكان آخر بأنها "هوجه هوجاء" ونقطة سوداء وهناك من وصفها بالمهزلة والمأساة واستمرت الأمور على هذا المنوال حتى قامت أقسام التاريخ بالجامعات المصرية بتصحيح هذا الوضع وإنصاف هذه الثورة وزعمائها بعيدا عن أى عواطف وطنية أو قومية فردت إليهم اعتبارهم على أساس أن هذه الثورة كانت أول حركة قومية قام بها المصريون بعد قرون عدة استسلموا فيها للغاصبين وهذه الدراسة التى اعتمدنا فيها على المصادر الأصيلة تروى قصة هذه الثورة، وتصفى وقائعها من كل ما شابها حتى برزت كحركة وطنية ووثبة من وثبات التحرر تحمل تبعاتها هذا الجندى الفلاح الذى تحنى له الهامات احتراما لجهاده، ووطنيته وإخلاصه فلا أحد ينكر وقفته أمام الخديو

فى قصر عابدين قائلا: " لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا ولا عقارا، فو الله الذى لا إله إلا هو أننا لا نورث ولا نستعبد بعد هذا اليوم".

لقد كتب عرابى مذكراته تحت عنوان "كشف الستار عن سر الأسرار" أوضح فيها قصة مصر والمصريين الذين التفوا حوله خلال مواجهته لأعداء الوطن فتناول الخطوات الهامة التى قطعتها الثورة منذ مظاهرة عابدين فى ٩ سبتمبر وحتى محاكمته هو ورفاقه، هذا إلى جانب الوثائق الرسمية التى تسجل لنا نضال رجال الثورة ضد الخديوى، وأسلوبهم فى الحشد السياسى وخططهم للدفاع عن البلاد ضد التدخل العسكرى الأجنبى، ومشاركة الأهالى فى صد المعتدين، وإلى جانب ذلك فقد أتت الثورة العرابية بأفكار جديدة حاولت فيها أن تنقل المجتمع المصرى إلى مرحلة الانطلاق نحو استرداد حقوقه ومعرفة ذاته فطرحت مفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل مفهوم القومية ومبدأ مصر للمصريين وأهمية الديمقراطية كأساس للحكم فى مصر والدستور كنظام له بهدف تحديد سلطة الخديو إيقاف سيطرته المطلقة، كما طرحت فكرة الجمهورية الديمقراطية كبديل عن الخديوية حتى يتم حكم البلاد بأيدى أبنائها.

والخلاصة ان ثورة عرابى كانت ثورة وطنية خالصة، وأن عرابى كان أمل الجماهير المظلومة فى استرداد حقوقها فهو إذن بطل قومى بكل ما تحمله الكلمة من معان ولا صحة لما تردد من شائعات وأفكار تحاول النيل من كفايته الثورية وحسن أدراكه للأمور السياسية فهو كما اتضح من الوثائق والمكاتبات الرسمية كان على دراية ووعى بنبض المصريين.

إن حكاية الثورة العرابية تثبت قدرة الشعب المصرى على التحدى ومواجهة الصعاب، وبالرغم من اخفاقها، فانها كانت مدرسة رائدة للوطنية المصرية تشكل خلالها الوعى الوطنى لأجيال متعددة من المصريين.

وهذه الدراسة تمثل رؤية جديدة لاتقتصر على وقائع الثورة فحسب بل شملت المفاهيم الجديدة التى طرحتها ومذكرات قادتها وأبرز روادها.

والله الموفق

د. عبد المنعم الجميعى

القاهرة – ميدان لبنان المهندسين

يناير ٢٠١٢

obeikan.com